

التبيان في تفسير القرآن

(416) قوله تعالى: ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين (49) آية بلا خلاف. في هذه الآية حكاية أن أصحاب النار يوم القيامة ينادون أصحاب الجنة وأصحاب النار هو المخلدون في عذابها، لا جميع من فيها، لأن فيها الزبانية الموكلون بعذاب أهلها. وإنما توعدهم بالعقاب بالنار دون اختراع لالام أو غيره من الأسباب، لأنه أهول في النفس وأعظم في الزجر، لما يتصور من الحال فيه، وما تقدم من إدراك البصر له، وأنهم يسألونهم أن يفيضوا عليهم شيئاً من الماء. والافاضة إجراء المائع من عل، ومنه قولهم: افاضوا في الحديث أي اخذوه بينهم من أوله لأنه بمنزلة اعلاه. وافاضوا من عرفات إلى مزدلفة معناه صاروا إليها. قال الرماني: حد الماء جسم سيال يروي العطشان من غير غذاء الحيوان، وهو جوهر عظيم الرطوبة يزيد على جميع المائعات في كثرة المنفعة. وقوله " أو مما رزقكم الله " قال ابن زيد والسدي: طلبوا مع الماء شيئاً من الطعام. وقال أبو علي: طلبوا شيئاً من نعيم الجنة، فأجابهم أهل الجنة بتحريم المنع، لا تحريم العبادة، فقالوا: " إن الله حرمها على الكافرين " وإنما جاز أن يطلبوا شيئاً من نعيم الجنة مع اليأس منه، لأنهم لا يخلون من الكلام به أو السكوت عنه، وكلاهما لا فرج لهم فيه. وإنما لم يدرك أهل الجنة - مع خيريتهم - رقة على أهل النار، لأن من الخيرية القسوة على أعداء الله وأعدائهم، وذلك من تهذيب طباعهم كما يبغض المسئ ويحب المحسن، وذلك دلالة على أن الله تعالى بنى هذه الجملة بنية لاستغني عن الغذاء، لأن أهل النار مع ما هم عليه من العذاب يطلبون الطعام والشراب.